الفصل الأول

جهود فرنسا فى إقامة الكيان الصهيونى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

جهود فرنسا فى إقامة الكيان الصهيونى

البدء بالكتابة عن دور فرنسا فى قيام الكيان الصهيونى قبل غيرها من دول الاستعمار الغربى له ما يبرره ، وهذا راجع لأسباب تاريخية ، وأيضًا راجع إلى خطورة الدور الذى قامت به فرنسا فى قيام هذا الكيان .

كانت فرنسا أول دولة أوربية استعمارية تطرح بصورة عملية مسألة توطين اليهود فى بفلسطين ، فقد أعدت الحكومة الفرنسية فى سنة ١٧٩٨م خطة إقامة (كومنولث يهودى فى فلسطين) حال نجاح الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت ، فى مقابل بعض القروض المالية من يهود فرنسا للحكومة الفرنسية ، التى كانت تمر بأزمة اقتصادية ، كذلك فى مقابل المساهمة فى تمويل حملة نابليون، والقيام بنشر الفتن ، وإحلال الأزمات بين المواطنين فى الأماكن التى تسير فيها جيوش نابليون .

وقبل اليهود ما أبدته الحكومة الفرنسية من الموافقة على إقامة كومنولث يهودى فى فلسطين ، ولهذا دعا زعماؤهم إلى اتخاذ باريس مقرًا لجميع الطوائف اليهودية للتنسيق مع الحكومة الفرنسية من أجل تحقيق هذا الهدف .

وكان نابليون يعرف مدى أهمية هذا الاتفاق الذى أبرم بين الجالية اليهودية بفرنسا ، والحكومة الفرنسية ، ولهذا فقد أصدر ـ بمجرد وصوله إلى مصر فى سنة ١٧٩٨م بيانًا حث فيه جميع يهود آسيا وإفريقيا على الالتفاف حول رايته من أجل إعادة مجد اليهود الغابر ، وإعادة بناء مملكة القدس القديمة ، ثم وجه نداء يؤيده فى أثناء حصاره لمدينة عكا التى لم يقدر على فتحها فى ١٧٩٩/٤/٤م ومما ورد فيه: « إن العناية الإلهية التى أرسلتنى على رأس هذا الجيش إلى هنا جعلت العدل رائدى ، وكفلتنى بالظفر ، وجعلت القدس مقرى العام ، وهى التى ستجعله بعد قليل فى دمشق جارة بلد داود » .

ودعاهم بورثة فلسطين الشرعيين قائلاً : يا ورثة فلسطين الشرعيين أطلب منكم العمل على إعادة وطنكم (١) .

وكانت حكومة فرنسا قد أعدت خطة لإقامة « كومنولث » يهودى بفلسطين ، على أن يقدم الممولون اليهود قروضًا مالية للحكومة الفرنسية التى كانت تمر آنذاك بضائقة مالية ، وعلى أن يتعهد اليهود كذلك ، ببث الفتنة والفوضى فى الأماكن التى تمر بها حملة نابليون على مصر ـ ولما كان هناك تنسيق بين الحكومة الفرنسية ويهود فرنسا ، وكان نابليون بونابرت على علم بذلك ، فقد أصدر بيانًا مكتوبًا يحث فيه اليهود ، على الالتفاف حوله مقابل ، أن يعيد لهم بناء مملكة القدس القديمة ، فكان هذا البيان بمثابة أول وعد أوربى بإقامة وطن لليهود بفلسطين .

وكان نابليون مثله كمثل كل القواد الاستراتيجيين الإمبراطوريين الذى اهتموا بأهمية موقع فلسطين : من مصر والأشوريين والبابليين والفرس والرومان والعرب المسلمين، الذين كانوا يعملون على غرس عنصر سكانى موال لهم، ووجد نابليون فى اليهود ضالته فأراد أن يغرسهم بفلسطين لكى يسهلوا عليه احتلال المنطقة بأسرها (مصر والشام) بالإضافة إلى ذلك فقد كانت فرنسا تحتاج إلى المال اليهودى لدعم حركتها الاستعمارية فى الخارج ، وحل مشاكلها المالية فى الداخل، كما أن نابليون بصفة خاصة كان فى حاجة إلى يهود فرنسا كعنصر بشرى عميل فى صراعه الداخلى الذى يوافق طموحاته لاعتلاء عرش فرنسا ، الذى بدأ يخطط له، فيهود فرنسا كما يرى المسيرى كانوا فى عقل نابليون يمثلون جماعة وظيفية وسيطة مندمجة ، وإن اختلفت نظرته إلى يهود الشرق فقد رأى فيهم خصوصية الجماعة الإثنية المتميزة ، وأنه يمكن تحويلهم إلى مادة وظيفية قتالية استيطانية توطن فى فلسطين لخدمة الاستعمار الغربى (فرنسا فى هذا الحين) .

وكانت المسألة الشرقية، المتضمنة الضعف الذى دب فى الدولة العثمانية عاملاً مساعدًا على فعالية خطة نابليون ومصالحه (٢) .

---

(١) د. أمين عبد الله محمود : مشاريع الاستيطان اليهودى منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ص ١٤، ١٥ ، عالم المعرفة ، رقم ٧٤ فى فبراير ١٩٨٤م .

(٢) انظر المسيرى : الموسوعة ٣/٥٦، ٥٧ .

« والنمط الكامن فى تفكير نابليون ، هو أيضًا النمط الكامن فى النظرية الاستعمارية الغربية تجاه الشرق ، وتجاه الجماعات اليهودية ، وقد تبدى هذا النمط فى وعد بلفور فى سنة ١٩١٧م فى بداية الأمر ، ثم وصل ذروته مع توقيع الاتفاق الاستراتيجى بين إسرائيل والولايات المتحدة فى سنة ١٩٨٢م » (١) .

« وبعد الفترة النابوليونية تصاعدت حدة الخطاب الصهيونى ـ مع اهتمام فرنسا بالشرق فقد نشر أرنست لاهاران (سكرتير نابليون الثالث) كتيبًا صهيونيًا يدعو إلى توطين اليهود فى فلسطين » (٢) .

ومع أن الغرب ـ كل الغرب ـ الذى كان يعيش فيه أكثر من ٩٠٪ من يهود العالم قد دعم المشروع الصهيونى الاستيطانى بفلسطين ، فإن فرنسا كانت السباقة بدعم هذا المشروع ، ولا يقل وعد نابليون فى ذلك ، عن وعد بلفور ، فالغرب كله كان يريد وضع قاعدة استيطانية للاستعمار الغربى يحقق بها مصالحه فى تفتيت القوى العربية ، ووضع المنطقة فى حالة تخلف دائم ، ويكون اليهود فيه بمثابة وكلاء وعملاء لتنفيذ مخططات الغرب فى المنطقة العربية ، مقابل دعم الغرب للصهيونية ماديًا ، والضغط على الحركات الواعية والتحررية فى المنطقة العربية .

وهذا نص وعد نابليون لليهود ، باستيطان أرض فلسطين :

« من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية فى إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين .

أيها الإسرائيليون ، أيها الشعب الفريد ، الذين لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومى ، وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد فقط .

إن مراقبى مصائر الشعوب الواعين المحايدين، وإن لم تكن لهم مواهب المتنبئين مثل: أشعيا ، ويوئيل قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع من دمار وشيك لمملكتهم ووطنهم، أدركوا أن: «عتقاء الإله سيعودون لصهيون، وهم يفنون، وسيولد الابتهاج بتملكهم إرثهم دون إزعاج، فرحًا دائمًا فى نفوسهم » (أشعيا ٣٥/ ١٠).

(١) انظر المسيرى : الموسوعة اليهودية ٣/ ٥٧ .

(٢) انظر المسيرى : المرجع السابق ٤/ ٣١١ .

انهضوا إذن بسرور أيها المبعدون، إن حربًا لم يشهد لها التاريخ مثيلاً تخوضها أمة دفاعًا عن نفسها بعد أن اعتبر أعداؤها أرضها التى توارثوها عن الأجداد غنيمة ينبغى أن تقسم بينهم حسب أهوائهم ، وبجرة قلم من مجلس الوزراء نقوم للثأر للعار الذى لحق بها ، وبالأمم الأخرى البعيدة ، ولقد نسى ذلك العار تحت قيد العبودية والخزى الذى أصابكم منذ ألفى عام ، ولئن كان الوقت والظروف غير ملائمين للتصريح بمطالبكم أو التعبير عنها ، بل إرغامكم على التخلى عنها فإن فرنسا تقدم لكم إرث إسرائيل فى هذا الوقت بالذات،على عكس جميع التوقعات.

إن الجيش الذى أرسلتنى العناية الإلهية به ، الذى يقوده العدل ، ويواكبه النصر ، جعل القدس مقرًا لقيادتى ، وفى خلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التى لم تعد تُرهب مدينة داود .

يا ورثة فلسطين الشرعيين : إن الأمة التى لا تتاجر بالرجال والأوطان ، كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادهم لجميع الشعوب (يوئيل ٤/٦) تدعوكم لا للاستيلاء على إرثكم بل لأخذ ما تم فتحه والاحتفاظ به بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء .

انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوى شرفًا لأسبرطة وروما (مكابيون ١٢/ ١٥) وإن معاملة العبودية التى دامت ألفى سنة لم تفلح فى إخمادها .

سارعوا إن هذه اللحظة المناسبة التى قد لا تتكرر لآلاف السنين ، للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم ، تلك الحقوق التى سلبت منكم لآلاف السنين ، وهى وجودكم السياسى كأمة بين الأمم وحقكم الطبيعى فى عبادة يهوه طبقًا لعقيدتكم ، علنًا إلى الأبد [1] .

وكان الرحالة الفرنسى فولنى ، قد قام فى سنة ١٧٨٥م برحلة استكشافية لفلسطين ، تمهيدًا لحملة فرنسية مثل التى نفذها نابليون فى فبراير ١٧٩٩م ، ولم يكتب لها النجاح .

---

(١) يوئيل ٤/ ٢٠ عن موسوعة المسيرى ٦/ ٤٠ .

ومنذ البداية فإن الثورة الفرنسية التى قامت فى سنة ١٧٨٩م جعلت من يهود فرنسا مواطنين يتساوون مع مواطنى فرنسا المسيحيين ، فقد رفعت شعار : الحرية والمساواة والإخاء ، وكان هذا الشعار إيذانًا باعتبار يهود فرنسا مواطنيين فرنسيين ، مثل كل الفرنسيين .

وكانت الأفكار الماسونية قد دخلت فرنسا منتقلة من إنجلترا فى أول القرن ١٨ ، ولعبت دورًا شديد الخطورة فى نشر شعارها : الحرية والمساواة والإخاء الذى اتخذته الثورة الفرنسية بعد ذلك شعارًا لها ، وهنا التقى فكر التنوير الذى ظهر فى القرن الثامن عشر ، ومهد للثورة الفرنسية ، بالماسونية التى ارتمى يهود فرنسا بين أحضانها ، لأنها تساويهم بكل الفرنسيين ، وتمنحهم حق المواطنة الفرنسية .

وفى سنة ١٨٠١م أدرك نابليون بونابرت أهمية التنظيمات الماسونية فى فرنسا، وأثرها فى نشر أفكار الثورة ، وبلغ من اهتمامه بهذا الأمر أن عين أخاه جوزيف بونابرت مشرفًا عامًا على المحافل الماسونية الفرنسية ، ومنذ هذه اللحظة استطاع يهود فرنسا التغلغل فى محافل الماسونية ، واستثمار ذلك لمصلحتهم ، وفى الوقت نفسه ليكون لهم نصيب ولو قليلاً فى رسم السياسة الفرنسية فى الداخل والخارج، لدرجة أن الحكومات الفرنسية المتعاقبة منذ الثورة الفرنسية لم تخل من وجود وزير على الأقل من الماسونية ، كذلك فقد حرصوا على التغلغل فى التنظيمات المالية والإدارية والثقافية ، وفى الإعلام .

ثم عاد نابليون يستعين باليهود مرة ثانية فى تبادل مصالح معهم ، بتمويل حملته على روسيا ، وقد وجد قبولاً من اليهود ، خاصة أنه كان فى روسيا يكمن أكبر تجمع لليهود فى العالم حتى ذلك الحين ؛ لأن بولندا التى كانت أكبر تجمع يهودى فى أوربا ، وتم تقسيمها فى سنة ١٧٩٥ بين روسيا وبروسيا (ألمانيا) والنمسا ، وحصلت روسيا بمقتضى هذا التقسيم على مناطق شاسعة من بولندا كان يسكنها اليهود ، فأصبح فى روسيا ، وحدها من اليهود ما يزيد على نصف يهود أوربا مجتمعة ، ولما كان حال اليهود فى روسيا سيئًا ، فقد جعل منهم نابليون جواسيسه على روسيا ، كما أن اليهود اعتقدوا أن انتصار نابليون فى روسيا يحرر هؤلاء اليهود الروس .

من أجل ذلك دعا نابليون اليهود فى سبتمبر سنة ١٨٠٦م وأسس لهم مجمع الوجهاء اليهود بفرنسا ، وأعلن لهم كيانًا رسميًا داخل الدولة الفرنسية ، وجعل اليهودية إحدى الديانات الرسمية بفرنسا ، وجعل للمؤسسات الدينية اليهودية فيها أن تحظى برعاية الدولة وحمايتها ، كما منح اليهودية مكانة مساوية للمسيحية ، كما دعا نابليون فى سنة ١٨٠٧م إلى تكوين مجلس من ممثلى الجماعة اليهودية بفرنسا أطلق عليه مجلس السنهدرين ، يختص بمناقشة أوضاع الجماعة اليهودية بفرنسا ، وإصلاح أوضاعهم » (١) .

وبعد هذه الحقبة ـ لما كان لفرنسا حضور سياسى واقتصادى وثقافى فى الشرق العربى ـ قويت علاقتها بالجبهة المارونية اللبنانية ، مما كان يسمح لها بالتدخل فى شؤون المنطقة العربية فى الشام من حين لآخر .

كذلك قوى نفوذها فى مصر منذ سنة ١٨٤٥ حينما حصلت على امتياز شق قناة السويس ، وكان (ديلسبس) قد طلب من الحكومة المصرية أن تمنح فرنسا حق توطين المناطق المحيطة بقناة السويس بمستوطنين أوربيين لتوفير الحماية لهذا المرفق الحيوى ـ فتسلل معهم بعض اليهود .

كما كانت الحكومة الفرنسية نفسها ، تسعى لإيجاد قوة تحمى مصالحها فى شرقى قناة السويس ، ولم يكن أمامها أفضل من توجيه أصدقائها من اليهود إلى أهمية الاستيطان فى فلسطين .

إذًا فقد كانت فرنسا أول دولة استعمارية من دول أوربا العظمى ترى أن تقيم دولة لليهود شرقى قناة السويس ، لحماية المصالح الاستعمارية الأوربية من جهة ، وتفتيت قوة الدولة العثمانية التى بدأ يدب فيها الضعف من جهة أخرى ، كما كانت حكومة فرنسا أول من وجهت الأنظار إلى ما عرف بالمسألة الشرقية فقد كتب السياسى الفرنسى لهران L' Aharanne فى سنة ١٨٦٠م رسالة بعنوان المسألة الشرقية الجديدة ، دعا فيها اليهود إلى بعث وطنى تحت حماية مقدسة من فرنسا ، ثم تبعه الاستعمارى الإنجليزى لورانس أوليفانت Oliphant فى ١٤/ ١٢/ ١٨٧٨م

(١) أمين عبد الله ـ المرجع السابق ، ص ١٧ ، والمسيرى : موسوعة اليهودية ٨ / ٧٨ .

يطالب بإقامة مستعمرة يهودية لا تقوم على جوهر عاطفى أو دينى ، بل تقوم على أسباب ذات طابع سياسى واقتصادى [١] .

وفى القرن ١٩ أعطت فرنسا ليهود الجزائر ، حق المواطنة الفرنسية بمقتضى قانون (كرميه) كما أعطت الحق نفسه لليهود ، فى كل البلاد الإسلامية التى احتلتها ، وكان هذا الوجود اليهودى فى هذه البلدان يرتبط بحماية السلطات الفرنسية لليهود ودفاعها عنهم ، ومنحهم امتيازات خاصة على حساب سلب حقوق الوطنيين من أهل البلاد الأصليين .

وكان (أدولف كرميه) الذى منحهم هذه الامتيازات يهوديًا من أبرز الشخصيات اليهودية فى الحكومة الفرنسية ، وكان يسعى دائمًا من أجل منح اليهود بالعالم الإسلامى استيازات استثنائية ، وكان قدوة لكل البلاد الأوربية فى هذا المجال .

ولهذا فقد كان « موسى هس » شديد الافتتان بالقوة الفرنسية فى ستينيات القرن ١٩ فى الفترة التى ألف فيها كتابه : روما والقدس فى سنة ١٨٦٢م فقد كان ينظر إلى فرنسا على أنها قوة عظمى طموحة ، كما ركز على أن اليهود هم أيضًا قوة طموحة يمكن أن يكون لها دور حيوى فى تقديم المساعدة لفرنسا فى سبيل إنجاز مشروعها السياسى والاقتصادى والثقافى ، وفى كتابه دعا « هس » اليهود إلى الانضواء تحت ظل الراية الفرنسية قائلاً : إن بلاد أجدادنا الضائعة سيعاد اكتشافها على الطريق المؤدى إلى الهند والصين التى يجرى بناؤها وإعدادها فى هذه المرحلة ، فهل ما زلتم تشكّون فى أن فرنسا ستهب لمساعدة اليهود فى تأسيس مستعمرة لهم تمتد من السويس إلى القدس ، ومن ضفاف الأردن إلى شاطئ البحر المتوسط ؟ إن كان لا يزال عندكم شك فى هذا فعليكم قراءة كتاب المسألة الشرقية الجديدة الذى ألفه الفرنسى أرنست لا هران [٢] .

ولكن سياسة فرنسا تجاه منطقة قناة السويس وشرقها قد انهارت ، وتحولت سياستها إلى وجهات أكثر أهمية بعد هزيمتها فى موقعة سيدان فى سنة ١٨٧٠م على يد الجيش الألمانى بقيادة بسمارك .

---

(١) چارودى : فلسطين أرض الرسالات ، ص ٣١٣ .

(٢) انظر د. أمين عبد الله محمود: المرجع السابق ، ص ٨٤ ، ٨٥ نقلاً عن هس: روما والقدس، ص ١٣٢ .

ولكن سريعًا ما استعادت فرنسا عافيتها الاستعمارية فى سنة ١٨٨٢م إذ قام الثرى اليهودى الفرنسى (أدموند روتشلد) بتنظيم أول هجرة يهودية جماعية فى تاريخ الكيان الصهيونى ، بمساعدة حكومته ، وبهذه الهجرة الجماعية التى نظمها اليهودى الفرنسى (أدموند روتشلد) بلغ عدد يهود فلسطين ٢٤٠٠٠ أربعة وعشرين ألفًا ، بعد أن كانوا قبل هذه الهجرة ٨٠٠٠ ثمانية آلاف يهودى أقام لهم المستوطنات ، وشغَّلهم فى مهن تخدم الذين سيهجرون من اليهود بعد ذلك ، خاصة المهن الزراعية ، وما يقوم عليها من أعمال أخرى .

ولكنها لم تكن نهاية المساعدات الفرنسية لليهود ، فقد عادت فرنسا إلى مساعدة دولة الكيان الصهيونى إسرائيل فيما بعد .

إذًا فقد نبهت فرنسا العالم الأوربى الاستعمارى إلى أهمية قيام دولة يهودية فى المنطقة العربية ، من أجل تحقيق المصالح الاستعمارية ، وإن مهمة فرنسا كانت توضح أهمية قيام مخطط إمبريالى يخدم الأهداف الإمبريالية الأوربية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد نبهت فرنسا العالم الأوربى إلى ضرورة أخذ الثأر التاريخى من العالم الإسلامى الذى اقتطع المنطقة من مصر حتى تركيا شمالاً ، وغربًا حتى أقصى بلاد المغرب العربى ، من الإمبراطورية الرومانية المسيحية ، وقد بدأت فرنسا محاولات أخذ الثأر التاريخى بقيادتها للحروب الصليبية فى العصور الوسطى ، وها هى تعيد المحاولة مرة أخرى .

إن الذى يؤكد اهتمام فرنسا السياسى العملى ، والعاطفى بإنشاء وطن قومى لليهود ، أن يهود فرنسا كانوا أشد حرصًا من كل يهود أوربا على إقامة هذا الوطن، وكانت الحكومة الفرنسية لا تجد فى ذلك بأسًا،بل كانت ترى فيه ما يروح عنها أمام عقدة الذنب التى تعانيها بسبب استيطان الفرنسيين فى الجزائر ، ولهذا فقد زعم « بلفور » وزير خارجية إنجلترا أن ما اشتهر « بوعد بلفور » ، كان صادرًا منه إلى الثرى الفرنسى اليهودى روتشيلد بإقامة « وطن يهودى Home » فى فلسطين .

ولم يكن عزل مصر عن فلسطين فى سنة ١٩٠٦م ـ إذ كانت مصر والشام دولة واحدة تحكمها حكومة واحدة على فترات طويلة من التاريخ الإسلامى ـ

ومنها حقبة حكم محمد على وبنيه إلى سنة ١٩٠٦م إذ تم الفصل على يد «كرومر» المندوب السامى البريطانى حاكم مصر الإنجليزى ـ إلا من أجل اقتطاعها من الأمة العربية ، وتجهيزها لليهود ففيما بين خروج نابليون من مصر فى سنة ١٨٠١م واحتلال مصر بالقوات الإنجليزية سنة ١٨٨٢م وعزل فلسطين عن مصر فى سنة ١٩٠٦م جاء إلى فلسطين رحالة جواسيس وقسس وضباط مساحة ، بدعوى اكتشاف الأرض المقدسة علميًا ، واستطلاع أحوالها تمهيدًا لإحلال اليهود بها ، وهذا الاستعداد الذى استغرق أزيد من مائة سنة ، سهل من مهمة القائد الإنجليزى اللنبى فى احتلال فلسطين فى سنة ١٩١٧م ، فقد جهزت له موسوعة كاملة بالخرائط والمعلومات المهمة ـ أعدها « صندوق اكتشاف فلسطين .

وبهذا تحالفت السياسة الإمبريالية ، مع المطامع اليهودية ، مع الأصولية المسيحية ، وبقايا الروح الصليبية للاستحواذ على فلسطين وإنقاذ الأرض المقدسة من البرابرة المسلمين كما زعموا [١] .

كانت فرنسا أحد طرفى تقسيم تركة الدولة العثمانية منذ الحرب العالمية الأولى، ولكن إنجلترا استطاعت الحصول على فلسطين لتصلها بأرض مصر التى احتلتها فى سنة ١٨٨٢م لتؤمن طريق المستعمرات البريطانية فى إفريقيا وآسيا ، وتحاصر قناة السويس فى الوقت نفسه ، وحسب الناس أن فرنسا قد تخلت عن فلسطين التى صارت فى أيدى الإنجليز ، إلا أن فرنسا فى مواقف حاسمة كانت تقدم مساعداتها لليهود لتمكنهم من قيام الدولة اليهودية فى سنة ١٩٤٨م وما بعدها .

ومنذ بداية القرن العشرين كان لفرنسا بروز مهم خدم الصهيونية ، سواء كان ذلك برغبة ظاهرة من فرنسا ، أو رغمًا عنها ، فقد كانت الشريك الرئيسى لإنجلترا فى اتفاقية سايكس/بيكو التى تم بمقتضاها تقسيم العالم العربى فى سنة ١٩١٦م فى غرب آسيا ، وقد وافقت فرنسا على أن تضع نفوذها فى الشام فى سوريا ولبنان، ووافقت على أن تكون فلسطين منطقة نفوذ بريطانية ، وقد مهدت هذه الاتفاقية لإصدار وعد بلفور فى سنة ١٩١٧م وبمقتضاه منحت إنجلترا اليهود وطنًا قوميًا بفلسطين، ثم تواترت الأحداث حتى قيام دولة الكيان الصهيونى فى سنة ١٩٤٨م.

---

(١) انظر د. سليمان أبو ستة : بحث حدود فلسطين مدخل إلى الاستعمار ، ص ٤٦، مجلة عالم الفكر المجلد ٣٢ العدد الرابع أبريل / يونيو ٢٠٠٤م ـ الكويت .

وكانت فرنسا قد بدأت جهودها فى مساندة الحركة الصهيونية ، والدعاية لها من قبل ، وقد كانت فرنسا تهدف من ذلك استمالة يهود الولايات المتحدة لما لهم من تأثير قوى فى السياسة الأمريكية ، لكى تدفع حكومة الولايات المتحدة إلى دخول الولايات المتحدة الحرب بجانب الحلفاء ، فأوفدت الحكومة الفرنسية فى نوفمبر سنة ١٩١٥م فيكتور باش Victor Basch الأستاذ بجامعة السوربون والسياسى المرموق ، وكان من يهود فرنسا ـ إلى الولايات المتحدة حاملاً معه خطابًا من بريان Briand رئيس الحكومة الفرنسية ، إلى زعماء اليهود فى الولايات المتحدة ، جاء فيه ما يؤكد ضمان فرنسا ـ بجانب إنجلترا حماية اليهود فى فلسطين ، وضمان حريتهم ، وأن الحكومة الفرنسية ناقشت ذلك مع إنجلترا فى أثناء مفاوضات تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية فى غرب آسيا .

ولقد اهتمت الحكومة الفرنسية بهذه الوفادة لدرجة أنها طالبت من بريان حال عودته فى ربيع سنة ١٩١٦م أن يقابل بوانكاريه Boincre' رئيس الجمهورية الفرنسية ، ليقدم له تقريرًا عن مدى نجاح مهمته فى الولايات المتحدة (١) .

وكانت فرنسا على علم دائم بما يعد فى أروقة السياسة الأوربية ، خاصة فى إنجلترا ولا سيما المتعلقة بوعد بلفور ، وكانت فرنسا تنسق مع السياستين الإنجليزية والصهيونية فى هذا الصدد ، ولهذا فقد استطاع ناعوم سوكولوف ، الممثل الرسمى للمنظمة الصهيونية العالمية فى أيام الإعداد لوعد بلفور وصدوره أن يستعين بزعماء اليهود فى فرنسا ، لكى يقوم بمقابلات مع زعماء فرنسيين ، فتم له ذلك على الوجه التالى :

١ ـ فى ٢٥/٥/١٩١٧م قابل ريبو Ribot الرئيس الفرنسى .

٢ ـ وفى اليوم نفسه قابل چيل كامبو Jules Cambou السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية .

وتعددت المقابلات بينهم ، وطلب ناعوم سوكولوف الممثل الرسمى للمنظمة الصهيونية تصريحًا مكتوبًا يصدر باسم وزارة الخارجية الفرنسية يعرب عن عطفها

---

(١) ارجع إلى د. حسن صبرى الخولى : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ١/١٨٩، ٢١٢، ٢١٣ .

على أهداف الحركة الصهيونية فيما يختص باستيطان اليهود لفلسطين ، ونجح فى الحصول على التصريح المكتوب الصادر باسم وزارة الخارجية الفرنسية فى ١٩١٧/٦/٤م أى قبل صدور تصريح بلفور بخمسة أشهر موقعًا من كامبو وقد جاء فيه :

« لقد تفضلتم بتقديم المشروع الذى تكرسون جهودكم له ، ويهدف إلى تنمية الاستعمار اليهودى فى فلسطين، إنكم ترون إذا سمحت الظروف من ناحية، وإذا توافرت ضمانات استقلال الأماكن المقدسة من ناحية أخرى ، فإن المساعدة التى تقدمها الدول المتحالفة من أجل بعث القومية اليهودية فى تلك البلاد التى نفى منها شعب إسرائيل منذ قرون عديدة ستكون عملاً ينطوى على العدالة، والتعويض ».

« إن الحكومة الفرنسية التى دخلت الحروب الحالية للدفاع عن شعب هوجم ظلمًا ، لا تزال تواصل النضال لضمان انتصار الحق على القوة التى لا يسعها إلا أن تشعر بالعطف على قضيتكم التى يرتبط انتصارها بانتصار الحلفاء .

إننى سعيد بإعطائك هذا التأكيد » .

٣ ـ وفى ١٩١٨/٢/١٤م أرسل بيشون Pichon وزير الخارجية الفرنسية إلى ناعوم سوكولوف بصفته الممثل الرسمى للمنظمة الصهيونية صورة من رسالة رسمية مؤرخة فى ١٩١٨/٢/٩م توضح الاتفاق التام بين كل من حكومتى بريطانيا وفرنسا بالنسبة لكل ما يخص مسألة توطين اليهود فى فلسطين .

ومع أن التصريح الفرنسى الرسمى كان أكثر صراحة ووضوحًا من وعد بلفور إلا أن الأهمية الأكثر خطرًا تبقى لوعد بلفور ، لأن إنجلترا كانت صاحبة النفوذ الفعلى على فلسطين ، وبالتالى تستطيع أن تفى بما وعدت ، وفى الوقت نفسه يبقى للتصريح الفرنسى التأييد والمساندة .

٤ ـ وفى فرنسا كانت المنظمات الصهيونية ـ خاصة فى العاصمة باريس ـ تمتلك وكالتين للأنباء ، وثلاث صحف يومية ، وثلاث صحف أسبوعية ، وأربع صحف نصف شهرية ، وأربعًا وعشرين مجلة شهرية واثنتى عشرة نشرة إعلامية مختلفة.

« ولقد توقف عمل هذه المنظمات فى فرنسا فى زمن الحرب العالمية الأولى ـ أى قبل صدور وعد بلفور ، وتصريح وزارة الخارجية الفرنسية ، ولكنها عادت

إلى احتلال مكانتها السابقة بعيد الحرب مباشرة » (١) .

٥ ـ وفى ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧م أيدت فرنسا قرار تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب ، وصوتت لصالح مشروع التقسيم فى الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكان وراء هذا الموقف الفرنسى المؤيد للتقسيم رجل الدولة الصهيونى ليتون بلوم الذى كان نائبًا لرئيس الحكومة الفرنسية .

٦ ـ وكانت تجربة الاستيطان الفرنسى فى الجزائر العربية رائدة الاستعمار الصهيونى لفلسطين فقد درست الحركة الصهيونية التجربة الفرنسية الاستيطانية فى الجزائر وأفادت منها ، فقد بدأ اليهود باحتلال السهل الساحلى الخصيب بعد اقتلاع الفلسطينيين من أراضيه ، وإجبارهم على الهجرة إلى المناطق الجبلية ، ثم إلى خارج فلسطين ، تمامًا كما فعل الفرنسيون المحتلون فى الجزائر باحتلال الأراضى الساحلية ، وطرد أهل البلاد إلى الداخل .

كلاهما قام على مبدأ ضرورة إفناء السكان الأصليين ، فإن أفلت من الإفناء أحد ، تفرض عليه حياة لا يحتملها بشر .

كذلك حذا الاستيطان اليهودى لفلسطين حذو نظيره الفرنسى فى الجزائر فى زعم أنهم جاؤوا يحملون رسالة الحضارة والتحديث ، لإضفاء صفة المشروعية على الاحتلال، وقد كشفت إحدى نشرات الجيش السرى بالجزائر فى سنة ١٩٥٨م عن هذه المزاعم فجاء فيها : « نحن نرى أن حق الإسرائيليين لا يقل عن حق فرنسىّ الجزائر فى الاحتفاظ بأراضٍ فتحوها بكدهم وحدهم ، بل كونوها بحيث أصبحت بلادهم لا أكثر ولا أقل ، ونحن أعضاء منظمة الجيش السرى الفرنسى نحيى إخواننا جنود إسرائيل لأنهم الوحيدون الذين يدافعون معنا منذ أعوام عن حضارة نعتبرها مشتركة .

وتربط هذه الرسالة بين المزاعم الاستيطانية والفكر الإمبريالى ، فهى فى عرف أولئك وهؤلاء جميعًا تبرر إفناء الشعوب أصحاب الأرض ، تحت غطاء مزاعم حمل رسالة حضارية .

---

(١) عقيل هاشم: إسرائيل فى أوربا الغربية، ص ٣٢، دراسات فلسطينية، رقم ٢٣، بيروت، فى نوفمبر ١٩٦٧م.

ولولا الزيادة العددية لسكان الجزائر ، وغلبة مشاعرهم الإسلامية والعربية عليهم لاستطاع الاحتلال الفرنسى ، واستيطان الفرنسيين للجزائر أن يمحو هوية الجزائر العربية الإسلامية .

الطريقة واحدة ، وقد نجح الجزائريون فى استعادة أرضهم وهويتهم بعد قرن ونصف قرن ، ولكن الأمر اختلف فى فلسطين ، لأن قلة سكان فلسطين فى القرن ١٩ ، وقوة المخططات الإمبريالية فى دعم الحركة الصهيونية بإجراءات قانونية تتخذها حيال الفلسطينيين فقد كانوا يستولون على مزارعهم ، ولا يجعلونهم يدخلونها إلا بصفتهم أجراء غرباء وبإذن خاص من السلطات الصهيونية (١) .

« بل إن الذى يجهله الرأى العام العربى ، أن حكومة بن جوريون فشلت ست مرات فى احتلال بئر سبع ـ عاصمة النقب بقوات يهودية ، بعد ذلك سقطت بئر سبع فى ٢١/ ١٠/ ١٩٤٨م على يد كتيبة فرنسية ، قيل إنها من المرتزقة الفرنسيين» (٢) .

٧ ـ ومنذ سنة ١٩٥٣م زاد تدعيم فرنسا لعلاقتها بدولة الكيان الصهيونى ، خاصة ولم يعد لفرنسا مصالح حيوية فى العالم العربى ، وفى الوقت نفسه كانت سياسة فرنسا فى مستعمراتها العربية فى شمال أفريقيا تثير حافظة العرب ضدها ، وبالتالى فقد أيدت إسرائيل فرنسا فى مواقفها ضد العرب فى الأمم المتحدة فصوتت ضد تونس فى سنة ١٩٥٢م ، وضد الجزائر فى سنتى ١٩٥٦م ، ١٩٥٧م . كما صوتت بجانب فرنسا فى سنة ١٩٥٩م عندما أصدرت الأمم المتحدة قراراً بأغلبية ثلثى الأعضاء بحظر التجارب النووية الفرنسية فى الصحراء الإفريقية الكبرى .

٨ ـ وكانت الدولة الصهيونية قد شاركت فرنسا وإنجلترا فى العدوان الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦م .

---

(١) ارجع إلى د. عبد المالك خلف التميمى : الاستيطان الأجنبى فى الوطن العربى ، ص ١٥٠ ، ومها بسطامى: الاستيطان الإسرائيلى ونظرية الأمن القومى ـ مجلة الإنماء العربى ، ص ١٩٢ ، العدد الأول يوليو ١٩٨١م، بيروت ، ود. مجدى حماد : النظام الاستيطانى فى إسرائيل وجنوب إفريقيا ، ص ٥٢، ٥٣ ، بيروت ١٩٨١م، ود. صبرى جريس: العرب فى إسرائيل، ص ٢٢٧ ـ ٢٣٠ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٣م .

(٢) سلمان أبو ستة : مقال العرب المنسيون، بدو بئر سبع ، الحياة ، ص ١٨، ٢٧/ ٩/ ١٩٩٥م.

ومن الشخصيات اليهودية المرموقة التى لعبت دورًا مهمًا فى السياسة الصهيونية فى فلسطين (بيير منديس فرانس Pierre Mendes France ١٩٠٧ ـ ١٩٨٢م) يعرف بأنه رجل دولة فرنسى ، ابن عائلة يهودية ، ولكنه تلقى تعليمًا فرنسيًا علمانيًا ، تخرج بجامعة السوربون حيث كتب رسالته الجامعية فى سنة ١٩٨٢م ، وجه فيها انتقادات حادة للسياسة المالية للحكومة ، وحظيت الدراسة باهتمام واسع بين رجال القانون والاقتصاد والسياسة .

انتخب فى سنة ١٩٣٢م عضواً بالبرلمان الفرنسى ، ليكون أصغر عضو فيه .

وفى سنة ١٩٤٦م عين فى منصب المدير الفرنسى للبنك الدولى للإنشاء والتعمير .

وفى سنة ١٩٥٤م نجح فى الوصول إلى منصب رئيس الحكومة ، ولكنه قدم استقالته فى سنة ١٩٥٥م .

وفى سنة ١٩٥٦م عين وزيراً بدون وزارة فى حكومة الجبهة الجمهورية .

وقد ظل منديس فرانس شخصية مهمة فى السياسة الفرنسية ، كما كان من المؤيدين للصهيونية ، ودولة الكيان الصهيونى ، كما أيد العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦م .

ويضيف د. عبد الوهاب محمد المسيرى : أن موقفه المؤيد للصهيونية ، وسياسة الاستيطان الصهيونى ، وإقامة دولة صهيونية بفلسطين ـ كان نابعًا فى المقام الأول من كونه سياسيًا فرنسيًا حريصًا على حماية المصالح الفرنسية والغربية.

وكان من الفرنسيين المؤيدين لفتح الحوار بين العرب وحكومة الكيان الصهيونى فى الفترة من سنة ١٩٦٨م ـ ١٩٧٣م [١] .

وكان منديس فرانس ثانى رجل فرنسى صهيونى مؤثر فى الحركة الصهيونية ، فقد سبقه (ليون بلوم Leon Blum ١٨٧٢ ـ ١٩٥٠م) الذى نجح فى سنة ١٩٣٦م فى أن يصبح رئيسًا لفرنسا ثم مرة أخرى فى سنة ١٩٣٨م ، ثم اعتزل السياسة فى سنة ١٩٤٨م .

---

(١) د. المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢/ ٣٤، ٣٥ .

كان من مؤسسى اللجنة الاشتراكية من أجل فلسطين فى سنة ١٩٢٨م ، وقبَل دعوة وايزمان للانضمام للوكالة اليهودية ممثلاً ليهود فرنسا ، ولعب دوراً مهمًا فى التأثير على تصويت الحكومة الفرنسية فى الأمم المتحدة المؤيد لقرار تقسيم فلسطين.

«ولا يمكن تفسير سلوك بلوم فى إطار المصالح اليهودية الخالصة ، أو النفوذ اليهودى فباستثناء بعض التفاصيل الهامشية فى حياته [هكذا قال المسيرى] نجد أن حياته السياسية، وتوجهاته الفكرية لا تختلف عن حياة أى سياسى فرنسى آخر»(١).

ونضيف : لا تختلف عن توجهات أى صهيونى فرنسى آخر .

ونجح الصهاينة التوطينيون بفرنسا أن يهجروا ٦٠,٠٠٠ ستين ألف يهودى فرنسى إلى فلسطين فى سنة ١٩٤٨م (٢) .

٩ ـ وأعلنت فرنسا رسميًا صداقتها لإسرائيل ودعمتها بـ ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ (ثلاثين مليون) دولار فى سنة ١٩٥٧م .

١٠ ـ ولا ننسى أن التسليح الذى تسلحت به إسرائيل منذ البداية حتى سنة ١٩٦٧م كان فرنسيًا بدءًا من طائرات الميراج إلى التقنية النووية ، أى التسليح النووى.

١١ ـ ولقد نظرت حكومات الكيان الصهيونى إلى التحالف مع فرنسا على أنه تحالف شديد الأهمية لما يأتى .

أ ـ ضمان وصول الأسلحة الفرنسية لإسرائيل خاصة طائرات الميراج ، التى كانت إسرائيل تتفاءل بها ، لأن بها حققت انتصاراتها على العرب فى كل حروب ما قبل حرب رمضان / أكتوبر ١٩٧٣م .

ب ـ البرنامج النووى الصهيونى ، فهو فرنسى من مبتدئه حتى منتهاه .

جـ ـ التعاون الثقافى بموجب اتفاقية سنة ١٩٥٩م ، إذ بموجبها أمدت فرنسا الكيان الصهيونى بمدرسين للغة الفرنسية ، فضلاً عن وجود ٢٠ (عشرين) منظمة يهودية للتعاون الثقافى بفرنسا يأتى فى مقدمتها :

---

(١) د. المسيرى : المرجع السابق ٢/ ٣٤ .

(٢) د. المسيرى : المرجع السابق ٤/ ٣١٥ .

1 - Union des Associatations Culturelles Israelites de France d'Algerie

اتحاد الروابط الثقافية لليهود الفرنسيين فى الجزائر .

2 - Associatation Consistoral Israelite de Paris

الرابطة اليهودية بباريس .

3 - Associatation Culturelle Sefardite de Paris

الرابطة الثقافية السفاردية بباريس .

4 - Alliance Israelite Universelle

الاتحاد اليهودى العالمى ، وهو منظمة يهودية كبرى تركز نشاطها فى مجال التعليم ، قامت بتأسيس شبكة من المدارس اليهودية فى العالم العربى .

5 - Centre de documentations Juives Contemporaines

مركز الوثائق اليهودية المعاصرة .

6 - Conseil Representatif des Juifs de France

المجلس التنفيذى ليهود فرنسا .

7 - Conseil Bappinique Orthodoxe en France

مجلس الحاخامات الأرثوذكس بفرنسا .

8 - Conseil Representatif du Judiasme Traditionolite

المجلس التمثيلى لليهودية التقليدية [1] .

9 - Conseil Representatif des Instiutions Juives de France

المجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية بفرنسا .

وهو الجهة الممثلة ليهود فرنسا لدى المؤتمر اليهودى العالمى ، ويضم نحو ٥٠ (خمسين) منظمة يهودية فرنسية تمثل القيادات السياسية والأيديولوچيات المختلفة

(١) جالينا نيكيتينا : دولة إسرائيل ، ص ١٢٣، ١٢٤ .

داخل الجماعة اليهودية ورئيسها الممثل السياسى للجماعة اليهودية فى فرنسا ، والمخول للتفاوض باسمها مع الحكومة الفرنسية ، وأكثر ما يهتم به محاربة معاداة اليهودية (السامية) .

10 - Fonds Social Juif Unitie

الصندوق الاجتماعى اليهودى الموحد :

يخطط للنشاطات الاجتماعية والثقافية والتعليمية والدينية للجماعة اليهودية وموقفهم تجاه « إسرائيل » وبعد حرب سنة ١٩٦٧م نسق الصندوق نشاطه مع النداء الإسرائيلى الموحد ، وأسسا النداء اليهودى الموحد لفرنسا Appel Unitie Juif de France وهو الجهة المختصة بجمع التبرعات ، وتدبير الموارد المالية اللازمة لميزانية الصندوق ، وتوزع حصيلته بين الصندوق من ناحية ، والمنظمة الصهيونية ، والوكالة اليهودية من ناحية أخرى .

وكذلك يوجد المقر الرئيسى للمؤتمر اليهودى الأوربى فى باريس [١] .

وعن طريق فرنسا كان الفارون من ألمانيا النازية يجدون طريقًا إلى الاستيطان فى الدولة الصهيونية بدءًا من سنة ١٩٣٧م وخاصة يهود بولندا وكل الأراضى التى كانت تحتلها القوات النازية .

ومنذ سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٦٧م كانت الحكومة الفرنسية تقدم دعمها المادى والمعنوى للحركات الصهيونية بفلسطين ـ خاصة عندما كان الاشتراكيون يصلون إلى الحكم ، وكما ساعدت فرنسا فى تسفير الفارين من النازية فى أثناء الحرب العالمية الثانية إلى فلسطين ، ساعدت اليهود الراحلين عن الجزائر ، بعد قيام ثورة تحرير الجزائر على التوجه إلى الكيان الصهيونى .

كما تشكلت لجان جمع الأموال من أجل الكيان الصهيونى تحت اسم لجان «مساعدة إسرائيل» و« النداء الموحد » .

وقد ظهر التأييد الواسع فى فرنسا لإسرائيل قبل حرب ١٩٦٧م وفى أثنائها ،

---

(١) انظر المسيرى : الموسوعة ٤/ ٣١٥، ٣١٦ .

وبعدها ، « حتى إن جملة التبرعات ، التى جمعت بعد الحرب مباشرة ٤,٠٠٠,٠٠٠ أربعة ملايين جنيه إسترلينى أرسلت إلى الكيان الصهيونى تحت اسم « تبرعات التضامن مع إسرائيل » [١] .

موقف فرنسا إزاء الدولة الصهيونية بعد حرب سنة ١٩٦٧م :

يمكن طرح هذا السؤال : هل تغير موقف فرنسا [ديجول] بعد حرب سنة ١٩٦٧م ؟

إن بداية تحول السياسة الفرنسية من سياسة منحازة لليهود ، إلى سياسة شبه حيادية ، تلتزم فيها سياسة التوازن بين أطراف الصراع العربى اليهودى فى الشرق الأوسط ، هذا فيما تزعم فرنسا ، لأن إحدى كفتى الميزان ظلت تميل إلى الكيان الصهيونى ، وكانت محاولة إيجاد التوازن فى أثناء حكم (شارل ديجول) الذى لم يستمر وجوده فى الحكم طويلاً بعد حرب سنة ١٩٦٧م .

ولقد بدا أن موقفَ (ديجول) شبه الحيادى كان من الأسباب المباشرة لثورة شباب الجامعة فى فرنسا فى مايو سنة ١٩٦٨م بزعامة طالب يهودى من أصل ألمانى، التى مهدت لإزاحة (شارل ديجول) من حكم فرنسا ، ولولا أن الفرنسيين كانوا ينظرون إلى (ديجول) على أنه بطل قومى ، قاد فرنسا للتحرر من الاحتلال النازى فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، لانتظره مصير أكثر قتامة ، وأقسى من إزاحته من الحكم .

ولقد لعبت الماسونية التى يحركها يهود فرنسا دوراً خطيراً فى هذه الأحداث ، التى أدت إلى إسقاط ديجول ، ثم نشر أفكار جديدة مثل : حق المرأة فى الإجهاض والتمهيد لوصول فرانسوا ميتران إلى الحكم .

كانت فرنسا فى مقدمة الدول الأوربية المؤيدة لقيام دولة الكيان الصهيونى منذ بداية مساعى الحركة الصهيونية لإقامتها حتى قيامها فى سنة ١٩٤٨م ثم استمرت فى تأييدها ، بل كانت من أشد الدول تأييداً لها ولسياستها المناهضة للعرب ، وفى

---

(١) انظر : المسيرى : الموسوعة ٦/ ١١٥، ١١٦ .

سنة ١٩٥٦م شاركت فرنسا فى العدوان الثلاثى (إسرائيل وفرنسا وإنجلترا) فى حكومة (چى موليه) الاشتراكية ، واحتلت أرض سيناء ، وكل الأراضى الفلسطينية ، ولولا موقف الولايات المتحدة ـ القوة العظمى الناشئة بقيادة (دوايت أيزنهاور) بطل الحرب العالمية الثانية ، وتدخلها لردع العدوان ، الذى لم يكن من أجل تحقيق مصلحة عربية ، بقدر ما كان إظهارًا للقوة العظمى الجديدة ، واستقطاب العالم العربى فى الوقت نفسه ، والإحلال به ، بعد إزاحة إنجلترا وفرنسا ، وجعلهما مجرد تابعين لسياستها فى العالم العربى .

ويرى بعض المحللين السياسيين أن فرنسا وموقفها من سياسة المنطقة العربية صار أكثر تفهمًا لطبيعة الصراع العربى / الصهيونى بعد حرب سنة ١٩٦٧م ، والحقيقة فإن فرنسا صارت متفهمة لموقعها وسط القوى الأوربية ، وأمام الولايات المتحدة ، خاصة بعد أن صارت ـ مع ألمانيا ـ تمثل قوة اقتصادية وسياسية مهمة داخل التضامن الأوربى ، واهتمامها منذ حكم (ديجول) بتنمية ذاتها فى كافة المجالات خاصة ، وأن الظروف ـ فى هذه الحقبة ـ كانت لصالح فرنسا وتوجهاتها فى مجالى السياسة والاقتصاد والثقافة .

إن فرنسا يخالجها شعور دائم بأنها تمثل إمبراطورية الثقافة الغربية منذ القرن الثامن عشر فثقافة التنوير العلمانية بنت فرنسا ، بل يمكن أن تكون الجذور الثقافية ممتدة إلى عصر ديكارت فى القرن السابع عشر ، ورصيد فرنسا الثقافى يجعل لها مكانة عالمية عالية ، ولا يزال هذا المد الثقافى يسير فى مسراه الطبيعى إلى اليوم ، يضاف إلى ذلك أن فرنسا ـ بعد الحرب العالمية الثانية استطاعت أن تحسن من اقتصادها القومى، وتقدمت فيه على كل الدول الأوربية، بما فيها ألمانيا التى لا تزال تعانى من النفوذ الأمريكى وأثره السلبى فى المجالين العسكرى والسياسى ، مما يجعلها غير قادرة على منافسة فرنسا ـ إلا فى المجال الاقتصادى وحده ، أما إنجلترا فقد فقدت نفوذها السياسى فى العالم بفقد مستعمراتها الكبرى ، فى الولايات المتحدة ثم الهند ، ثم مصر وفى أماكن كثيرة من إفريقيا وآسيا ، وأصبحت تعانى من الانحسار الاقتصادى ، وصارت تعيش الآن على الفتات المتناثر من المائدة الأمريكية فى مقابل أن تقوم بدور الولد المشاغب للولايات المتحدة الأمريكية ،

حينما يكون البلطجى الأمريكى فى حاجة إلى صبى رذل يجر شكل الآخرين الذين لا ترضى عنهم السياسة الأمريكية . ويمكن أن توصف مسيرة موقف فرنسا من الصراع العربى / الصهيونى فى مراحل بين مد وجزر ولكنها فى عمومها تنحرف إلى ناحية الكيان الصهيونى .

بعد أن تم تقسيم بلاد المنطقة العربية فى غرب آسيا ، وأصبحت فلسطين من أنصبة إنجلترا ، كانت فرنسا لا تزال تتطلع إلى فلسطين ، وتتخيل أن بإمكانها أن تعيد أمجاد الإمبراطورية الفرنسية التى أقامها نابليون بونابرت ، ولعل هذا الخيال الجامح ظل ملازمًا (شارل ديجول Charles de Gualle) منذ يفاعته ، فقد كان دائمًا يتمثل عظمة فرنسا بعظمة بونابرت ، الذى كان مثله العسكرى والسياسى الأعلى ، فعندما زار ديجول العالم العربى فى سنة ١٩٢٩م ذهب إلى القدس ، حيث كان قائدًا لقوات فرنسية فى سوريا ولبنان ، وتنازعته الرغبة فى أن يظل لفرنسا إمبراطورية شاسعة الأرجاء فى بلاد البحر الأبيض المتوسط وإفريقيا لتظل قادرة على سنافسة إنجلترا فى الميدان الإمبريالى ، فى الشرق العربى على وجه التحديد ، فقد نازعت نفسه وخياله تحقيق إقامة الإمبراطورية الشرقية التى فشل نابليون بونابرت أن يحققها يوم سقطت قواته منكسرة أمام أسوار عكا بفلسطين فى سنة ١٧٩٩م .

وأكثر من هذا الحلم فقد تذكر ديجول أطماع فرنسا فى منطقة الشام ومصر فى حملاتها الصليبية التى استمرت بحملات متتالية فى خلال ثلاثة قرون من القرن (١١ ـ ١٣) من القرن الحادى عشر إلى القرن الثالث عشر ، وكان ديجول يرى فى نفسه أن له دورًا تاريخيًا مقدسًا ، كالدور الذى لعبه لويس التاسع الذى أسر فى مصر فى سنة ١٢١٨م وافتدى نفسه ، وغرق فى تونس فى أثناء عودة حملته العسكرية المهزومة فاعتبر قديسًا كاثوليكيًا ، ومنحه الفاتيكان لقب القديس لويس .

كذلك تمثل ديجول الدور الذى لعبه نابليون بونابرت عندما احتل مصر لتكون مركزًا لإمبراطورية فرنسية فى الشرق العربى فى سنة ١٧٩٨م ولهذا كتب ديجول سنة ١٩٣١م : « إن فرنسا التى ورثت حماية دول الشرق ، لا تزال مهيأة له بسبب دورها التاريخى فى هذه الدول ، منذ الحملات الصليبية ، والمملكة المسيحية

الصليبية فى فلسطين التى دامت أكثر من قرنين ، كانت المنطقة تحت النفوذ الفرنسى ، على طول لبنان ، وجبال العلويين وفلسطين ، ولا تزال القلاع القوية هناك تشهد على قوة مستوطنيها من الفرنسيين فى العصور الوسطى » .

وكان ديجول يربط ـ باستمرار ـ بين أمن فرنسا والعالم العربى ، على أساس الموقع الجغرافى ، ويرى أن البحر الأبيض المتوسط الذى يقع على شاطئيه الشرقى والجنوبى أكثر دول العالم العربى أهمية جغرافية ، فهى تمثل حزام وقائى لأمن فرنسا.

وفى سنة ١٩٤٤م عاد ديجول يجتر أحلامه فكتب : « إن مستقبل فرنسا مرتبط بشكل مباشر بدول حوض البحر الأبيض المتوسط العربية ، فعلى ضفافه أقمنا قاعدة إمبراطوريتنا ، وعلى ضفافه يعيش الأتراك والعرب المتلازمون دائمًا مع تاريخنا الذى نعده قاعدة لمستقبلنا .

قدمت فرنسا أهم عون للكيان الصهيونى ، فى الميدان النووى، عندما أرسلت مهندسى الذرة الفرنسيين إلى فلسطين لبناء مفاعل نووى بطاقة قدرها ٢٦ ميجاوات فى « ديمونا » وكلفت الحكومة الفرنسية شركة « سان چوبيان San Gobyan » النووية « S O N » فى الفترة من سنة ١٩٦٠م ـ إلى سنة ١٩٦٥م التى تمتلك الحكومة الفرنسية ٦٦٪ من قيمة أسهمها ، وبدخول هذا المفاعل مرحلة إنتاج «البلوتونيوم ٢٣٩ Pu - 239 » تكون إسرائيل قد ذللت أهم العقبات الفنية الرئيسية ، فى سبيل إنتاج القنبلة الذرية .

وعلى مدار ١٤ سنة أربع عشرة سنة منذ سنة ١٩٥٢م ـ إلى سنة ١٩٦٧م تعاونت فرنسا مع حكومة الكيان الصهيونى فى البداية فى ظل حكومة چى موليه Guy mullet ثم فى عهد « شارل ديجول Charles de Gualle » بصورة سرية.

وكان أهم دوافع فرنسا إلى الإقدام على هذه الخطوة ـ رفض الولايات المتحدة على لسان وزير خارجيتها « چون فوستر دالاس John Foster Dallas » فى إدارة أيزنهاور تقديم تقنية متقدمة لفرنسا (تكنولوچيا الكمبيوتر الأمريكية) ، فلجأت فرنسا إلى دولة الكيان الصهيونى ، لتقدم لها المساعدة على بناء المفاعل

النووى فى ديمونا ، وصنع القنبلة النووية ، فى مقابل أن تحصل فرنسا منها على (تكنولوچيا الكمبيوتر المتقدمة) التى حظرتها الولايات المتحدة على فرنسا ، وكانت كل من الدولتين قد مهدتا لهذه الشراكة النووية منذ سنة ١٩٥٢م ، ولم يكن بقى إلا تحقيق الأمل ونقله من عالم الأفكار إلى عالم الأشياء .

كذلك فإن دولة الكيان الصهيونى تقدمت لفرنسا فى أوائل الستينيات ، ودفعت لها مبلغ ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مائة مليون دولار أمريكى مقابل أن تقوم فرنسا بتقديم يد العون لها فى تطوير صاروخ أريحا الذى يعد أكثر الصواريخ الصهيونية تطوراً .

وتمتلك دولة الكيان الصهيونى الآن عدداً كثيراً من الرؤوس النووية ، التى تشكل خطورة كبيرة على الأمن القومى العربى ، لأن العالم الاستعمارى الغربى قد ساعدها على تملك التقنيات المتطورة لصناعات الأسلحة النووية ، ومنع وصولها فى الوقت نفسه للوطن العربى ، بل هدد الحكومات العربية بفرض عقوبات اقتصادية عليها فى حالة محاولة تملكها (١) ، بل وضربها بأسلحة التدمير الشامل كما فعل فى العراق .

وكان ديجول ـ فى كل الأحوال التى يتطلع فيها إلى الحلم الفرنسى فى المنطقة العربية بغرب آسيا ، أو بحوض البحر الأبيض المتوسط ، بنظرة استعلاء مثله كمثل أى أوربى استعمارى ، ينظر إلى الإسلام وحضارته ، وإلى العرب والمسلمين على أنهم متخلفون تنقصهم الكفاءة الإبداعية ، ولقد كتب فى ذلك يقول : المسلمون شعب من أيام محمد ﷺ لم ينجحوا فى إنشاء دولة ، والعرب يقولون : إنهم ابتكروا علم الجبر ، وأنشؤوا المساجد ، لكن من أجل استعباد المسيحيين الذين أسروهم ، إن العرب لا يستطيعون التفوق ، ولا يقدرون على عمل أى شىء وحدهم (٢) .

---

(١) ارجع إلى د. ممدوح حامد عطية : البرنامج النووى الإسرائيلى والأمن القومى العربى ، ص ١٧ ـ ٤٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٩٧م ، ود. محمد زكى عويس : أسلحة الدمار الشامل ، ص ١٢ ، ١٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ٢٠٠٣م .

(٢) ما بين علامات التنصيص ـ منقول عن بحث د. أحمد سعيد نوفل : قراءة فى موقف ديجول من القضية الفلسطينية ـ مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٢٠٩ فى أغسطس ١٩٩٠م .

هذا موقف ديجول ـ أكبر قائد فرنسى عسكرى وسياسى بعد نابليون بونابرت، منذ ثلاثينيات القرن العشرين .

وبعد حرب يونيو ١٩٦٧م قيل : إن ديجول حول من مواقفه لصالح العرب ، وصفقت أجهزة الإعلام العربى ، لأنه قال كلمة فهم منها أنه يرفض سياسة الكيان الصهيونى تجاه العرب ، ولكن الحقيقة فإن هذا التحول فى موقف ديجول كان لصالح فرنسا ، بعد أن فقدت آخر أحلامها فى المنطقة العربية فى غرب آسيا وحوض البحر الأبيض المتوسط ، بعد أن طردت الولايات المتحدة كل اللاعبين وانفردت فى ملعب المنطقة ، هنا أراد ديجول أن يصيح صيحة فرنسا الأخيرة ، التى هى أشبه بآخر رقصات البطة المذبوحة ، قبل أن تنقطع أنفاسها .

لقد كان التعاون مستمراً بين اليهود والفرنسيين ، فى أثناء الحرب العالمية الثانية وكان (شارل ديجول) قد أصبح أهم شخصية عسكرية فرنسية ، وكان فى أثناء الحرب يقود المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألمانى فى فرنسا ، وفى هذا الوقت كانت هناك قوات فرنسية فى لبنان فقدم لها بعض اليهود مساعدات مقابل منح عصابة الهاجاناه الصهيونية محطة إذاعة من قيادة فرنسا الحرة التى يقودها (شارل ديجول) وكانت هذه الإذاعة تذيع بثها من منزل اليهودى (ديفيد كوهن) الرئيس الأسبق للجنة الدفاع والعلاقات الخارجية فى الكنيست الإسرائيلى بعد قيام الكيان الصهيونى ثم قويت الاتصالات بين الحركة الصهيونية ، ومسؤولين فى قيادة فرنسا الحرة ، كما شارك بعض اليهود الفرنسيين الصهاينة فى الكفاح المسلح ضد النازية التى كانت تحتل فرنسا ، وبلغ الأمر خطورته عندما خصص المؤتمر اليهودى العالمى ممثلاً خاصًا له هو (ألبرت كوهين) لدى قيادة فرنسا الحرة التى جعلت من لندن قاعدة لها لمكافحة القوات النازية التى تحتل فرنسا فى أثناء الحرب العالمية الثانية .

ولهذا تحمست فرنسا لقيام الكيان الصهيونى ـ اعتقادًا من الساسة الفرنسيين أن قيام مثل هذا الكيان إذا حل محل الوجود البريطانى فى المنطقة يخدم الإمبراطورية الفرنسية فى غرب آسيا وحوض المتوسط وإفريقيا ، ورأت فرنسا أن ذلك الكيان سيكون أخف وطأة على المصالح الفرنسية فى إمبراطوريتها الإفريقية والمتوسطية من إنجلترا ، مما دعا الحكومة الفرنسية إلى الموافقة على قرار التقسيم فى الأمم

المتحدة ، كما دعاها إلى وصف قيام الكيان الصهيونى بأنه ضرورة تاريخية ، بل إن ديجول الذى لم يكن فى السلطة زعم أن الشعب اليهودى له الحق تمامًا فى المطالبة بإصلاح ما وقع عليه منذ قرون عدة .

ولكن الرياح تأتى بما لا يشتهى السَّفِنُ ، فقد ضاع النفوذ الفرنسى من المنطقة العربية لأسباب .

أولها : ضلوعها بحرب سنة ١٩٥٦م مع إنجلترا والكيان الصهيونى على العرب.

الثانى : بدأ استشراء النفوذ السوفيتى فى المنطقة العربية ، فقد رأى بعض الشباب البائس أن الخلاص من سياسة كل من إنجلترا وفرنسا يتمثل فى الاتحاد السوفيتى الذى كان يزعم تحرير الشعوب من الاستعمار الغربى، وتحقيق العدالة الاجتماعية للشعوب.

الثالث : ردع الولايات المتحدة الأمريكية التى تفوقت على دول الاستعمار القديم للاستعمار الفرنسى والبريطانى ، فى مجالات القوى : السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية بعد الحرب العالمية الثانية ، وارتماء اليهود فى أحضان السيد الجديد = الولايات المتحدة .

الرابع : انحسار الاستعمار التقليدى سواء الإنجليزى أو الفرنسى ، خاصة فى إفريقيا والعالم العربى .

وبالرغم من كل ذلك فقد قامت فرنسا بتسليح إسرائيل منذ قيامها فى سنة ١٩٤٨م، وساعدت حكومة (بن جوريون) فى إقامة المفاعل النووى فى ديمونة بصحراء النقب، وثبتت القوة الصهيونية الإسرائيلية ودعمتها فى حرب سنة ١٩٥٦م.

ولكن بحلول حكومة ديجول بالسلطة الفرنسية فى سنة ١٩٥٨م ، الذى رأى رؤية نفعية بحتة أن لفرنسا دورًا فى سياستها إزاء العالم العربى ، خاصة وأن العلاقة بين فرنسا والعالم العربى كانت قد بلغت درجة خطيرة من السوء بالتأييد المطلق للكيان الصهيونى ، وبمشاركتها فى العدوان الثلاثى ، واستمرار احتلال الجزائر وتوطين أكبر عدد ممكن من الفرنسيين فيه .

أراد ديجول ـ عن طريق التحول النفعى عن هذه السياسة لمصلحة فرنسا ـ أن يوازن فى سياسة فرنسا فى المنطقة العربية بين الانحياز للكيان الصهيونى ، ومصالح فرنسا مع العرب ، فتقدم خطوات فى طريق إنهاء الاحتلال الفرنسى للجزائر ، ولكن ظل الانحياز الفعلى لصالح إسرائيل ، فاستمرت فرنسا تمدها بالسلاح خاصة طائرات (الميراج) التى انتصرت بها دولة الكيان الصهيونى فى حروبها على العرب حتى حرب ١٩٦٧م ، وكانت هذه الطائرات التى تتفاءل بها الدولة الصهيونية تتفوق على طائرات (سيخوى ١٧) الروسية قليلة الحيلة .

وفضلاً عن ذلك فقد أعلن (ديجول) أنه سيبقى بجانب إسرائيل من أجل ضمان وجودها والمحافظة عليه .

وفى سنة ١٩٥٩م حاولت فرنسا أن تحسن من علاقتها بمصر ، وطمعت فى إنشاء مصنع لتجميع سيارات رينو فى مصر ، يكون سببًا فى فتح أسواق عربية ، ولكن الدولة الصهيونية احتجت على إنشاء هذا المصنع ، وردت فرنسا أن مسألة تأسيس قاعدة لتجميع سيارات (رينو) اقتصادية بحتة لا سياسية .

ولكن حدثت تحولات فى السياسة الفرنسية فى يونيو سنة ١٩٦٠م إثر زيارة (ديفيد بن جوريون) رئيس وزراء الكيان الصهيونى لفرنسا ، فنشأت صداقة متينة بين فرنسا ديجول والكيان الصهيونى فى حكومة (ديفيد بن جوريون) .

وفى هذه الحقبة كانت المقاومة الجزائرية للمحتلين الفرنسيين قد بلغت أشد مراحلها وأخطرها ، ورأت مصر أن من واجبها مساندة القطر العربى الشقيق ، فساندت الجزائر وأمدتها بالعون المادى ، وبالوقوف مع قضيتها فى المحافل الدولية حتى تحررت فى سنة ١٩٦٢م فزادت بسبب ذلك شقة الخلاف بين مصر وفرنسا .

وفى الستينيات صار ولاء إسرائيل الكلى لسيدة العالم الجديدة ـ الولايات المتحدة التى أرادت أن تتزعم حلف الأطلسى بشكل انفرادى لم يرض عنه ديجول الذى أراد من جانبه أن يتعامل مع الولايات المتحدة معاملة الند للند ، ورفضت حكومة (ليندون چونسون) هذه المواجهة الفرنسية ، وعند ذلك بدأ ديجول يبحث عن مصلحة فرنسا ، ورأى أن من أسباب الحصول عليها أن يعلن صداقته

للعرب واستعداده للاعتراف بالصين ، والتقارب مع روسيا باعتبارها دولة أوربية أحق بصداقة فرنسا من الولايات المتحدة التى يفصلها عن القارة الأوربية محيط .

كانت القشة التى قصمت ظهر البعير ، أو ذريعة فرنسا فى هذه المواجهة عندما طلبت فرنسا من الولايات المتحدة أن توصلها إلى آخر تطورات التقنية ورفضت الولايات المتحدة ، ثم طالبت فرنسا بضرورة الوحدة الأوربية لكى تكون القارة الأوربية قادرة على حماية نفسها ومصالحها ، من طغيان الولايات المتحدة الاقتصادى والثقافى .

ثم حاولت فرنسا أن تقيم علاقات مفيدة بالعالم الآخذ فى النمو ، الذى تمثل الدول العربية أعظم كتلة سكانية وجغرافية واقتصادية فيه .

لكن الواقع العملى أكد أن فرنسا بتحسين علاقتها مع العرب ، لم يكن بالمقابل اتخاذ موقف معادٍ من الدولة الصهيونية ، بل كان موقفًا يقدم مصالح فرنسا قبل كل شىء .

وفى يونيو سنة ١٩٦٤م ذهب رئيس الوزراء اليهودى (ليفى أشكول) إلى فرنسا ، وكان همه الأول أن يبقى على ميثاق التضامن الفرنسى / الصهيونى الذى أعلنته حكومات : فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة فى سنة ١٩٥٠م الضامن لحق إسرائيل فى الوجود ، كما اهتم بضمان تدفق طائرات الميراج على إسرائيل - وهى الطائرات التى دمرت السلاح الجوى العربى فى مصر وسوريا والأردن فى سنة ١٩٦٧م .

تحولات فى الموقف الفرنسى :

كان السبب الرئيس لهذه التحولات إحساس فرنسا / ديجول بأهمية إثبات الوجود فى الساحة الدولية ، فى مواجهة القوة الأمريكية الطاغية وكان أهم منعطف فى هذه التحولات فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧م ، فقد كان (ديجول) يعرف أن إسرائيل ستبدأ بالهجوم على العرب ، ونصح ليفى أشكول رئيس وزراء الكيان الصهيونى آنذاك بألا يهاجم العرب ، وأكد له أن مصر لن تقدر على تدمير إسرائيل ، وأن فرنسا لن تسمح بتدميرها ، وقال صراحة لوزير الخارجية الصهيونى

(أبا إبيان) : أنتم أحسن تسليحًا من العرب ، وإذا أقدمتم على هذه الحرب فسنعتبركم محتلين وسندينكم ، وأعلن فى الثانى من يونيو سنة ١٩٦٧م عن أن الدولة التى ستبدأ الحرب لن تحظى بمساندة فرنسا ، ثم قامت فرنسا بالفعل بحظر تصدير الأسلحة إلى المنطقة العربية فى الثالث من يونيو سنة ١٩٦٧م ، أى بحظر تصديرها لكل من الكيان الصهيونى ، والعرب .

وتغير موقف فرنسا عقب العدوان فى يوم الخامس من يونيو ١٩٦٧م وأدان العدوان الصهيونى على البلاد العربية ، وطالب القوات الصهيونية بالانسحاب الفورى من الأراضى التى احتلتها ، وفى الثامن من نوفمبر ١٩٦٧م أثارت الحكومة الفرنسية لأول مرة قضية حقوق اللاجئين الفلسطينيين فى منفاهم القهرى، وأهمية إيجاد حل لقضيتهم ، ثم أعلن (ديجول) رأيه بصراحة فى دولة الكيان الصهيونى قائلاً : إن فرنسا كانت تتمنى لو أن إسرائيل تستطيع أن تتعايش سلميًا مع جيرانها ، باستعمالها بعض التواضع ، ولكنه بفضل الحملة الفرنسية / البريطانية على قناة السويس فى سنة ١٩٥٦م بدت تظهر للناس بمظهر الدولة المحاربة المصممة على التوسع ، كما لوحظ النشاط الذى تقوم به لمضاعفة عدد سكانها بواسطة هجرة العناصر الجديدة إليها ، مما دفع إلى التفكير فى أن الأرض التى احتلتها لن تكفيها طويلاً ، وأنها قد تميل إلى توسيعها باستغلال كل الأرض التى احتلتها .

إن احتلال الأراضى سيصاحبه بالتأكيد اضطهاد وقمع وإقصاء ، عند ذلك اتهمت إسرائيل (ديجول) بمعاداة السامية .

وعندما صدر القرار الدولى رقم ٢٤٢ ومع أنه فى مصلحة الكيان الصهيونى إذ يمنحه اعترافًا عربيًا، فقد أيدته فرنسا، وطالبت بتطبيقه، وذهبت إلى أبعد من هذا عندما طرحت من جانبها مشروعًا لحل مشكلة الشرق الأوسط من ثلاث نقاط:

أولاها : تنفيذ عاجل من قبل إسرائيل بإعلان رغبتها فى الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧م وإعلان عربى بإنهاء حالة الحرب مع الكيان الصهيونى ، والاعتراف بالدولة الصهيونية .

الثانية : تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى ١٩٦٧/١١/٢٢م على عدة مراحل ، وانسحاب اليهود من جميع الأراضى المحتلة .

الثالثة : توضع مبادئ عامة بالنسبة للمشكلات الأساسية فى الصراع العربى / الصهيونى مثل : مصير اللاجئين الفلسطينيين منذ حرب سنة ١٩٤٨م ، ووضع العرب داخل الكيان الصهيونى ، ومدينة القدس (١) .

ورفضت دولة الكيان الصهيونى المشروع الفرنسى ، واعتبرته منحازًا للعرب ، وأيدتها فى ذلك الولايات المتحدة ـ وبريطانيا .

وإذا كانت قد حدثت تحولات فى السياسة الفرنسية تجاه الصراع العربى / الصهيونى، فهى تحولات يمكن أن يقال عنها إنها نوع من إعلان الحياد تجاه القضية، لأن فرنسا لم تظهر تحيزًا للعرب فى وقت من الأوقات ، كما أن فرنسا قد اهتمت بمصلحتها بالدرجة الأولى فى التظاهر بإثبات الوجود فى مواجهة السياسة الأمريكية فى المنطقة العربية .

ومع أن فرنسا تتظاهر بهذا الموقف الحيادى منذ حكم (شارل ديجول) ، إلا أنها لا تزال تتبادل الآراء حول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وتنسق مع المجموعة الغربية التى تضم الولايات المتحدة وكندا ـ السياسات الدولية مثل : نزع السلاح ، والصراع العربى / الصهيونى ، وتناصر بعضها عند التصويت فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، أو لا تناصرها بحسب المصلحة الفرنسية ، وهذا دأبها حيال القضية المهمة المرتبطة بسياستها الدولية مثال ذلك وقوفها بجانب الولايات المتحدة فى حربها على العراق فى سنة ١٩٩٠م ورفضها لحرب الولايات المتحدة على العراق فى سنة ١٩٩٣ لأنها فى حرب العراق الأولى ظنت أن سيكون لها نصيب ولو قليلاً فى الغنائم ، فلما التهمت الولايات المتحدة الغنيمة وحدها رفضت مؤزارتها فى الحرب على العراق نفسه فى سنة ٢٠٠٣م .

والمتفائلون من العرب لا يعدون الموقف الفرنسى من القضايا العربية منذ سنة ١٩٦٧م موقفًا إيجابيًا ، فحياد فرنسا تجاه العرب واليهود ، لو عُدّ حيادًا ، لم تكن له آثار إيجابية فى تسليح العرب بمثل الأسلحة الهجومية التى سلحت بها الدولة

(١) انظر : أحمد سعيد نوفل ، المصدر السابق ، ص ٣٤، ٣٥ .

الصهيونية منذ قيامها ، تلك الأسلحة الهجومية المؤثرة التى ضمنت بها التفوق العسكرى على العرب مجتمعين ، ثم إنه فى أثناء حكم ديجول نفسه قام الموساد بمساعدة القوى المؤيدة للصهيونية فى الحكومة الفرنسية بتهريب قطع غيار ، وأسرار تكنولوچية عسكرية من فرنسا لدولة الكيان الصهيونى .

وسواء لبست الحكومة الفرنسية المتعاقبة القناع أم كشفت عن وجهها ، فإن هناك قوى خفية فى فرنسا تعمل على مساعدة الصهاينة ، وتتمثل فى الماسونية الفرنسية ذات الكثرة العددية من اليهود من بين أعضائها الذين قويت شوكتهم منذ قدم (فرانسوا ميتران) إلى السلطة ، وكان أشهرهم فى عهد ميتران (ميشيل شارامس) وزير المالية ، وأقرب الوزراء الفرنسيين فى حكومة (ميتران) إلى قلب (ميتران) .

ولقد استطاعت الماسونية الفرنسية أن تتغلغل إلى وزارات الحكومة ، خاصة وزرارات المالية والعدل والداخلية ، كما تغلغلت فى جهاز المخابرات الفرنسى ، ومن رجال الماسونية فى فرنسا تتكون قوى خفية توجه القرار السياسى فى داخل أروقة الحكومة الفرنسية خاصة إذا كان توجيهه لمصلحة تخص دولة الكيان الصهيونى ، فهى تشجعه وتعضده إذا كان يحمل نتائج إيجابية مؤثرة فى صالح الصهاينة ، وتعمل فى الوقت نفسه على تعطيله وتنحيته جانبًا إذا لم يكن فى مصلحتهم .

ولقد حاول بعض الفرنسيين الكشف عن قوة الماسونية ، وتأثيرها فى القرار الفرنسى الرسمى ، واتصالها القوى بالصهيونية ، ولكنهم لم يجدوا آذانًا صاغية وعلى سبيل المثال فقد نشرت مجلة (لوبوان) فى عددها الصادر فى ١٢ من يناير سنة ٢٠٠١م تحقيقًا يؤكد اختراق جهات صهيونية لوزارات : العدل والداخلية والمالية ، وسيطرتها على أجهزة الاستخبارات الفرنسية كما أظهر التحقيق أن الماسونية الفرنسية أداة فى يد الصهيونية قادرة على استخدام قوة المال والإعلام من أجل السيطرة على صناع القرار فى فرنسا [١] .

---

(١) انظر مقال د. أحمد يوسف : الماسونية من نابليون إلى ميتران ، صحيفة الأهرام الصادرة فى ٥ من فبراير سنة ٢٠٠١م .

ومن الأمور التى أعلن عنها التحقيق ما يؤكد قوة تأثير هذه القوة المسيطرة فى فرنسا، أنها كانت وراء محاكمة (رجاء جارودى) وتلفيق التهم له بمعاداة السامية، لأنه ألف كتابًا صغيرًا على نفقته الخاصة ، وفى دار نشر غير رسمية ، كشف فيه عن زيف الإعلام اليهودى فى تهويل ما قام به النازى من حرق لليهود فى أثناء الحرب العالمية الثانية .

لقد تمكن اليهود من (جارودى) لأنهم متغلغلون فى قطاعات الجهاز القضائى الفرنسى .

ولم تقف المسألة عند جارودى ، فقد قدمت هذه القوى الخفية كاتبًا آخر أقل شهرة من (جارودى) هو الروائى (رونو كامو) بتهمة معاداة السامية لأن إحدى رواياته جاءت ببعض عبارات تمس اليهود ، وكان خطأ المؤلف الوحيد أن ألمح فى الرواية إلى سيطرة اليهود على الإعلام الفرنسى ، فوجهت إليه لهذا السبب تهمة العداء للسامية ، ومع أن الكاتب برر موقفه قائلاً : إن ما ورد فى الرواية من وحى الخيال ، ولا يعبر عن قناعته الشخصية ، إلا أن تبريره رفض ، ثم أبدى استعداده بعد ذلك لحذف العبارات المثيرة للجدل ، ولكن هذا الطلب رفض أيضًا، وتم مصادرة الرواية ، واستمرت محاكمته [1] طبقًا لقانون (جيسو) الذى يحاكم كل من يذكر اليهود بسوء بحسب المفهوم اليهودى لمعاداة السامية ، لا بحسب المفهوم الإنسانى الذى تعارفت عليه كل الشعوب .

تم هذا فى فرنسا، مع أن فرنسا تعلن أنها دولة علمانية ينص دستورها صراحة على أنها دولة علمانية Laic .

ولا تزال فرنسا ـ عاطفيًا أحب بلاد أوربا إلى اليهود ، وإذا كانت الأقدار جعلت بعض الدول يزيد عدد اليهود بها عن مليون مثل: الولايات المتحدة،والاتحاد السوفيتى وفلسطين ، فإن فرنسا تضم أكبر عدد من اليهود ، من الذين يعيشون فى دول غرب أوربا؛ إذ يعيش فيها أكثر من نصف المليون،أما فى إنجلترا وهى من أهم الدول التى ساعدت اليهود، فإن عدد اليهود فيها يزيد قليلاً عن الربع مليون [2].

---

(١) صحيفة آفاق عربية ، العدد ٤٥٩ الصادر فى ٢٥ مايو سنة ٢٠٠٠م .

(٢) د. عبد الوهاب المسيرى : هجرة اليهود السوفييت ، ص ٤٤ ، كتاب الهلال ، العدد ٤٨٠ فى ديسمبر ١٩٩٠م .